AL-SABAH
الصباح الإسلامية
www.alsabahpress.com Alsabah Media
السنة الرابعة عشرة | 10 أغسطس 2021 م | 2 محرم 1443 هـ | الثلاثاء | No. 4041

نسبه إِلَى الله عز وَجل - والشهور كلهَا لَهُ - لتشريفه وتعظيمه وكل مُعظم ينْسب إِلَيْهِ

# «أَفْضَلُ الصّيَام بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ الله الْمُحَرّمُ»

من نعم الله تعالى على عباده، أن يوالي مواسم الخيرات عليهم ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، فما أن انقضى موسم الحج المبارك، إلا وتبعه شهر كريم هو شهر الله المحرم، فلعلنا نشير إلى شيء من فضائله وأحكامه.

## التأريخ الهجري

لم يكن التّاريخُ السّنويُّ معمولًا به في أوّل الإسلام، حتى كانَت خلافةُ عمرَ بن الخَطّاب -رضي الله عنه- فـ: في السّنة الثّالثة - أو الرّابعة- من خلافته -رضي الله عنه-: كتبَ إليه أَبو موسى الأشعريُّ -رضي الله عنه- أنه يأتينا منك كتبٌ ليس لها تاريخٌ! ؟

فجمع عمرُ الصّحابةَ -رضي الله عنهم- فاستشارهم.

فيُقال: إن بعضَهم قال: أرّخوا كما تؤرّخ الفُرسُ بمُلوكها، كلّما هلك ملكٌ أرّخوا بولايةِ مَن بعدَه. فكرهَ الصّحابةُ ذلك.

فقال بعضُهم: أرّخوا بتاريخ الرُّوم. فكرهوا ذلك -أيضًا-.

فقال بعضُهم: أرّخوا من مَولد النّبي -صلى الله عليه وسلم-. وقال آخَرون: من مبعثه. وقال آخَرون: من مهاجره.

فقالَ عمر: الهجرةُ فرّقت بين الحق والباطل؛ فأرّخوا بها.

فأرّخوا من الهجرة، واتّفقوا على ذلك.

ثم تشاوروا من أيِّ شهر يكون ابتداءُ السّنة.

فقال بعضُهم: من رمضان؛ لأنه الشهر الذي أنزلَ فيه القرآنُ.

وقال بعضُهم: من ربيع الأوّل؛ لأنه الشّهر الذي قدم فيه النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-. مهاجرًا.

واختار عمرُ وعثمانُ وعليٌّ أن يكونَ من المحرّم؛ لأنّه شهرٌ حرامٌ يلي شهر ذي الحجة الذي يؤدي المسلمون فيه حجّهم الذي به تمامُ أركان دينهم، والذي كانت فيه بيعةُ الأنصار للنبي -صلى الله عليه وسلم- والعزيمةُ على الهجرة.

فكان ابتداءُ السّنةِ الإسلاميّة الهجريّة من الشهرِ المحرّم الحرام.

مَا الْحِكْمَة فِي تسْمِيَة الْمُحَرّم شَهْر اللّه وَالشهور كُلّهَا لله؟!

1 - قَالَ الْحَافِظ أَبُو الْفَضْل الْعِرَاقِيّ -رحمه الله-: يَحْتَمل أَنْ يُقَال: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ الْأَشْهُر الْحُرُم الّتي حَرّمَ اللّه فِيهَا الْقِتَال، وَكَانَ أَوّل شُهُور السّنَة أُضِيف إِلَيْهِ إِضَافَة تَخْصِيص.

2 - قَالَ أَبُو عبيد: إِنّمَا خصّه بقوله: ((الْمحرم)) دون بَاقِي الْمُحرمَات لأَنّهُ كَانَ مَعْرُوفا بذلك الاسم.

3 - وقال ابنَ رجب -رحمه الله-: وإضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته.

وفي ذلك إشارة إلى أن تحريمه إلى الله عز وجل ليس لأحد تبديله كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه صفرا فأشار إلى شهر الله الذي حرمه فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره.

## فضائل شهر الله المحرم:

1 - من جملة الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿ إِنّ عِدّةَ الشُّهُور عِنْدَ اللّه اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَاب اللّه يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَاتَ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدّينُ الْقَيّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافّةً وَاعْلَمُوا أَنّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ﴾ [التوبة: 36]

وعَنْ أَبي بَكْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إِنّ الزّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السّنَة اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَة حُرُمٌ، ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَة، وَذُو الحِجّة، وَالمحَرّمُ، وَرَجَب، مُضَرَ الّذِي بَيْنَ جُمَادَى، وَشَعْبَانَ)).

قال القرطبي -رحمه الله-: خَصّ اللّهُ تَعَالَى الْأَرْبَعَةَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ بِالذّكْرِ، وَنَهَى عَنِ الظّلْمِ فِيهَا تَشْرِيفًا لَهَا وَإِنْ كَانَ مَنْهِيًّا عَنْهُ فِي كُلّ الزّمَانِ.

## مسألة: ابتداء القتال في الأشهر الحرم

قال ابن كثير -رحمه الله-: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَحْرِيمِ ابْتِدَاءِ الْقِتَالِ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ: هَلْ هُوَ مَنْسُوخٌ أَوْ مُحْكَمٌ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا -وَهُوَ الْأَشْهَرُ: أَنّهُ مَنْسُوخٌ؛ لأَنّهُ تَعَالَى قَالَ هَاهُنَا: ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنّ أَنْفُسَكُمْ﴾ وَأَمَرَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَظَاهِرُ السّيَاقِ مُشْعِرٌ بِأَنّهُ أَمَرَ بِذَلِكَ أَمْرًا عَامًّا، فَلَوْ كَانَ محرما مَا فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ لأَوْشَكَ أَنْ يُقَيّدَهُ بِانْسِلاخِهَا؛ وَلأَنّ رَسُولَ اللّه -صلى الله عليه وسلم- حَاصَرَ أَهْلَ الطّائِفِ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ -وَهُوَ ذُو الْقَعْدَة -كَمَا ثَبَتَ فِي الصّحِيحَيْنِ: أَنّهُ خَرَجَ إِلَى هَوَازِنَ فِي شَوّالٍ، فَلَمّا كَسَرَهُمْ وَاسْتَفَاءَ أَمْوَالَهُمْ، وَرَجَعَ قَلّهم، فَلَجَئُوا إِلَى الطّائِفِ -عَمِدَ إِلَى الطّائِفِ فَحَاصَرَهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَانْصَرَفَ وَلَمْ يَفْتَتِحْهَا فَثَبَتَ أَنّهُ حَاصَرَ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ.

وَالْقَوْلُ الآخَرُ: أَنّ ابْتِدَاءَ الْقِتَالِ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ حَرَامٌ، وَأَنّهُ لَمْ يُنْسَخْ تَحْرِيمَ الْحَرَامِ، لِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلّوا شَعَائِرَ اللّهِ وَلا الشّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [الآية]

وَيَحْتَمِلُ أَنّهُ أَذِنَ للمؤمنين بقتال الْمُشْرِكِينَ فِي الشّهْرِ الْحَرَام إِذَا كَانَت الْبُدَاءَةُ منْهُمْ.

2 - تَسَبّبَ النّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- إلى الله تعالى لشرفه، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قال: قَالَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: (( أَفْضَلُ الصّيَام، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ الله الْمُحَرّمُ)).

قَالَ أَبُو عبيد: إِنّمَا نَسَبه إِلَى الله عز وَجل - والشهور كلهَا لَهُ - لتشريفه وتعظيمه، وكل مُعظم ينْسب إِلَيْهِ.

3 - صيامه أفضل الصيام بعد صيام الفريضة، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: (( أَفْضَلُ الصّيَام، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ الله الْمُحَرّمُ )).

قَالَ النووي -رحمه الله-: وفيه تَصْرِيحٌ بِأَنّهُ أَفْضَلُ الشّهُور للصّوْم. أي بعد رمضان.

مسألة: أفضل الصوم بعد رمضان شهر محرم؛ فكيف أكثرَ رسول الله من الصّيام في شعبانَ دون محرم؟.

أجيبَ بعدّة احتمالات، منها:

1 - أنّ رسول الله لَم يعلم بفضله إلاّ آخر حياته.

2 - أنّ رسول الله كانت الأعذَار من سفرٍ ومَرض تعترضه في هذا الشهر.

3 - أن صيام شعبان من قبيل صوم النافلة قبل الفرض فهو أشبه بالرواتب؛ وصيام محرم من قبيل التطوع المطلق.

4 - فيه يوم عاشوراء : ويوم عاشوراء له فضل عظيم وحرمة قديمة، فقد كان موسى عليه السلام يصومه لفضله؛ بل كان أهل الكتاب يصومونه، بل حتى قريش كانت تصومه في الجاهلية، وقد وردت عدة أحاديث عن فضل عاشوراء وصيامه، منها: